

أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي
أستاذ الإعلام الإسلامي
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مصدر هذه المادة :





المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، النور المبين وحبل الله المتين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[١] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[٢] ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[٣].

أما بعد فإنه في ظل معايشة كتاب الله معايشة كاملة ، وفي أناة وتدبر عميقين ، وفي ظل اشتداد وطأة الحياة على الناس ، وكلفي الشديد بالبحث عما به تخف معاناة الناس، ويتحول ما بهم من غم

---

(١) آل عمران، الآية: [١٠٢].

(٢) سورة النساء، الآية: [١].

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١.

وهم إلى فرح وسرور وبهجة وحبور ، فقد وجـــدتني مـــدفوعاً إلى الوقوف طويلاً أمام ما يحدث في حياة الناس من ابتلاءات شـــتى ، ومصائب جمة عديدة ومتنوعة ، معنوية كانت أم مادية ، تعرض من تصيبه لكروب عظيمة وضروب من الضيق قليل من يصمد أمامها ، أبرز معالمها في الجانب المعنوي غربة الدين ، وغربـــة الصـــالحين ، وهجمة الأعداء على المؤمنين ، وتغير معالم الحياة اليومية في بلـــدان المسلمين حتى كثر القائلون بأن باطن الأرض اليوم خير من ظهرها ، بل إن البعض يكرر قول الله تعالى: ﴿**أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**﴾(١)

أما في الجانب المادي ، فشيوع الفزع والهلع مـــن المصـــائب المادية التي بدأت تعصف بالناس كانهيارات الأسواق المالية في بلدان المسلمين الذين لم يكن لهم سابق عهد بها، وما نتج عن ذلك مـــن إصابات في الناس أفرزت ضروباً من التصرفات لا تكاد تصدر إلا عن غير الأسوياء ، وكلا الأمرين في نظري محتاج إلى وصفة طبيـــة تكون بإذن الله بلسماً شافيا تعيد إلى النفوس عافيتـــها وصـــحتها وطمأنينتها ، فتذكرت حينئذ أنه لابد أن يكون في كتاب الله ما به تزول الغمة وتكشف الكربة ، فطفقت أعيد التأمـــل في نصـــوص القرآن العظيم علّي أجد ما به تقر عيني ويهدأ خـــاطري ويـــزول روعي من هول ما أرى من حولي وشدة انصراف معظم الناس عن النور العظيم الذي منَّ الله عليهم به ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّـــهِ نُـــورٌ**

(١) النجم ٥٧-٥٨.

وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١) فتملكني العجب مما وجدت من نصوص كريمة عديدة تقدم حلولاً شافية لكل ما يعانيه البشر من نوائب وصروف وشدائد وكروب، وتملكني الغضب والاندهاش من انصراف الناس عن هذا الكنز المعرفي العظيم وصدق الله، ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾(٢) مع أنه عزهم وفخرهم ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [الزخرف:٤٤]

قد يقول قائل هذا الذي تقول لا يعدو أن يكون من العموميات التي لا يسندها تفصيل في القضية التي شغلت بالك وملكت عليك نفسك ، فأقول لأخي لا تعجل فإن ما سأسرده عليك من نصوص تكشف عن السر العظيم الذي عثرت عليه ، والعلم الرفيع الذي وصلت إليه سيجعلك بإذن الله أكثر تحمساً مني ، وأشدَّ اندفاعا لكتاب الله بحثا عن حل لكل معضلة ، أو جوابا لسؤال استعصى عليك الإجابة عنه ، أو صواباً في حكم ، أو سداد في قول ، أو كمالاً في خلق ، أو حكمة في رأي أو غير ذلك مما يعرض لك في الحياة.

وإني متناول لموضوع هذا الكتيب الصغير الذي أسميته " صدق اللجأ إلى الله وأثره في إجابة الدعاء " في مباحث ثلاثة بعد المقدمة هي:

---

(١) سورة المائدة الآيات ١٥-١٦.

(٢) الفرقان (٣٠).

المبحث الأول: مكانة الدعاء من العبادة.

المبحث الثاني: دعاء الأنبياء والصالحين واستجابة الله لهم

المبحث الثالث: دعاء المضطرين عموما وسرعة استجابة الله لهم.

والخاتمة سائلا الله سبحانه وتعالى أن يجعله عملاً خالصاً متقبلا وأن ينفع به كاتبه وقارئه إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الرياض في الأحد ١٤٢٨/٣/٢٧هـ.



المبحث الأول: مكانة الدعاء من العبادة

الدعاء ذو منزلة عظيمة في الدين بينها الرسول ﷺ في الحديث الصحيح بقوله« **الدعاء هو العبادة**» وبه أمرنا الله جل جلاله في قوله ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[1] وقوله جل جلاله ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[2] وهو سبحانه المجيب للدعاء كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[3].

وحث عليه جل جلاله في ذيل الآية وبين أنه سبيل للرشاد ﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[4] وأخبر أنه سبحانه وتعالى هو وحده الذي يجيب دعوة المضطر بقوله: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[5].

وقد وصف سبحانه وتعالى الذين لا يدعونه بأنهم مستكبرون عن عبادته وأن مصيرهم النار وذلك في قوله جل جلاله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[6].

---

(1) سورة غافر، الآية ٦٠.

(2) سورة غافر، الآية ٦٥.

(3) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(4) سورة البقرة الآية ١٨٦.

(5) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(6) سورة النمل، الآية:٦٢.

وهو تكملة أية الأمر بالدعاء السالفة ، وأخبر سبحانه وتعالى أن من خصائص الرسل والأنبياء والصالحين أنه يدعونه سبحانه وتعالى رغبًا ورهبًا ، وإذًا فأمرٌ هذا مكانته في الدين لا يعدل عنه إلا من خذله الله ، وحرمه من أنفع الأمور في تحقيق خيري الدنيا والآخرة.

ولما كان الدعاء بهذه المنزلة العظيمة في الدين فإن على الداعي أن يستنفد أسباب الاستجابة، ومن أهم تلك الأسباب وأعظمها هو صدق اللجأ إلى الله ، وتعلق القلب به وحده دون سواه ، وهذا ما كشفت عنه النصوص القرآنية التي توقفنا عندها في الكشف عن هذه الحقيقة ، حيث تكرر فيها النص على الإخلاص لله في الدعاء **﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** [غافر:١٤]، **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[١] **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾**[٢] **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾**[٣] **﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾**[٤] فصدق اللجأ إلى الله هو لب الإخلاص لله، وقمة حسن الالتجاء إليه وهو أقصر الطرق للحصول على إجابة الدعاء.

---

(١) سورة يونس الآية ٢٢.

(٢) سورة النمل الآية ٦٢.

(٣) سورة الزمر الآية ٨.

(٤) سورة الروم الآية ٣٣.

ونحن إذ نتناول هذا الموضوع اليوم بهذه الكيفية إنما نتناوله إحساناً على الخلق الذين يئنون هذه الأيام تحت وطأة كثير من الرزايا والمحن والابتلاءات ، تجعل كثيرين منهم حيارى مهمومين مغمومين ، حتى لتكاد تجزم بأن اليأس من الفرج والقنوط من المخرج قد استولى على نفوسهم وعرضهم لإحباطات كثيرة في الحياة وما علموا أن الله وحده بيده الفرج والمخرج وهو سبحانه يدعوهم ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(١) ويأمرهم ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾(٢) ويقول ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٣) وإبراهيم عليه السلام يرد على الملائكة الكرام ﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾(٤) ويعقوب عليه السلام يقول لأبنائه وهو يحثهم على البحث عن يوسف ﴿**وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(٥) فاللجوء إلى الله في صدق وإخلاص إذاً هو الطريق لحل كل الأزمات والمعضلات ، وسبب مباشر لتفريج الكربات وأنواع الضيق وشتى أنواع الهموم والغموم ؛ لهذا رأينا بعضاً من علمائنا الأفاضل يشيرون إلى هذا

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢)سورة غافر: الآية ٦٠.

(٣)سورة غافر: الآية ٦٥.

(٤)سورة الحجر: الآية ٥٦.

(٥)سورة يوسف: الآية ٨٧.

المعنى إشارات بالغة الأهمية نورد بعضاً منها لأهميتها في إظهار هذا المعنى وتأكيده.

هذا الشيخ عبد الرحمن الثعالبي يقول في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن تفسيراً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[1].

(قال الحسن بن أبي الحسن: سببها أن قوماً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية و﴿**أُجِيبُ**﴾ قال قوم المعنى أجيب إن شئت، وقال قوم: إن الله تعالى يجيب كل الدعاء، فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له أجر في الآخرة، وهذا بحسب حديث الموطأ، وهو «**ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث...**» الحديث).

وليس هذا باختلاف قول، قال ابن رشد في "البيان"(الدعاء عبادة من العبادات يؤجر فيها الأجر العظيم، أجيبت دعوته فيما دعا به أو لم تجب)

وها أنا أنقل إن شاء الله من (صحيح الأحاديث) في هذا المحل ما يثلج له الصدر:

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا **تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**» رواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين "وابن حبَّان في"صحيحه" واللفظ له،

---

(1) سورة البقرة، الآية:١٨٦.

وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : «**الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض**»، رواه الحاكم في "المستدرك" وقال صحيح.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول: عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: أما أنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أفرج عنك فلم تر فرجّا، قال: نعم يا رب فيقول: إني ادخرت لك في الجنة كذ وكذا كذا وكذا، ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها، فيقول: نعم يا رب، فيقول: فإني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني في يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم ترَقضاءها، فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ : فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بيَّن له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة ، قال فيقول المؤمن في ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعاء**» رواه الحاكم في "المستدرك"

.

عن ثوبان ﷺ قال رسول الله ﷺ : «**لا يرد القدر إلا الدعاء**» رواه الحاكم في "المستدرك" وابن حبان في "صحيحه"

واللفظ للحاكم، وقال صحيح الإسناد.

قلت وقد أخرج ابن المبارك في "رقائقه" هذا الحديث أيضاً، قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يرد القضاء إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» انتهى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : «**لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**» رواه الحاكم في "مستدركه" وقال صحيح الإسناد، وقوله (فيعتلجان) أي يتصارعان.

وعن سليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء**» رواه الحاكم أيضاً، وقال صحيح الإسناد.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**من فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الجنة**»

قال الغزالي رحمه الله في كتاب "الإحياء" فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب للرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعي حضور القلب مع الله عزَّ وجلَّ، وذلك منتهى العبادات، فالدعاء يرد القلب إلى الله عزَّ وجلَّ بالتضرع والاستكانة، فانظره فإني آثرت الاختصار، وانظر

"سلاح المؤمن" الذي منه نقلت هذه الأحاديث.

ومن "جامع الترمذي" «عن أبي خزامة واسمه رفاعة عن أبيه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أرأيت رقي نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال : **هي من قدر الله**» قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وانظر جواب عمر لأبي عبيدة (نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله) الحديث هو من هذا المعنى، انتهى. والله الموفق بفضله.

وفي الدعاء ومنزلته يقول سيد قطب رحمه الله ما نصه:

﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾(١) (فيلمس وجدانهم وهو يذكرهم بخوالج أنفسهم، وواقع أحوالهم.

فالمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء ذلك حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوي الأسناد، وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص. لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده. وكل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلى.

وكل من كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولى.. في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث

---

(١)[النمل:٦٢]

والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء. فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه. هو وحده دون سواه. يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالُخنَّاق.

والناس يغفلون عن هذا الحقيقة في ساعات الرخاء، وفترات الغفلة. يغفلون عنها فيلتمسون القوة والنصرة والحماية في قوة من قوى الأرض الهزيلة. فأما حين تلجئهم الشدة، ويضطرهم الكرب، فتزول عن فطرهم غشاوة الغفلة، ويرجعون إلى رهم منيبين مهما يكونوا من قبل غافلين أو مكابرين.

والقرآن يرد المكابرين الجاحدين إلى هذه الحقيقة الكامنة في فطرهم، ويسوقها لهم في مجال الحقائق الكونية التي ساقها من قبل: حقائق خلق السموات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنبات الحدائق البهيجة، وجعل الأرض قراراً، والجبال رواسي، وإجراء الأنهار، والحاجز بين البحرين. فالتجاء المضطر إلى الله، واستجابة الله له دون سواه حقيقة كهذه الحقائق هذه في الآفاق وتلك في النفس سواء بسواء).

وهذا صاحب كتاب (مائة دعوة مجابة) يقول في بيان أهمية الدعاء وعوامل نجاحه ما نصه.

(أخي المسلم: هذا الكتاب الذي بين يديك يحتوي على مائة دعوة مختارة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع ذكر الدليل الصحيح على إجابة الدعوة، وكذلك صاحب كل دعوة ولقد أمرنا

الله سبحانه وتعالى بالدعاء فهو عبادة ووعدنا بالإجابة وليس بينهما شرط..

ولا يمنعن أحد من الدعاء فإن الله قد أجاب دعاء شر الخلق إبليس عليه لعائن الله. وإن للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أُنجح.

فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ووقت الفطر وما بين الأذان والإقامة وغيرها من المواقيت التي حددها الذي لا (ينطق عن الهوى) محمد ﷺ ومن أهم أسبابه الصلاة على نبينا محمد ﷺ).

ويقول صاحب كتاب " رد البلاء بالدعاء " في بيان أهمية الدعاء ما نصه:

(لقد ابتلى الله الناس منذ بدء الخليقة، وابتلى الأنبياء وأولى العزم من الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وكان الله يستجيب دعواتهم وينجيهم من المحن والضيق.

ونحن العباد الضعفاء نرجو رحمته ونخشى عذابه. ودرجه الإيمان والصبر تختلف من شخص إلى آخر وما لنا إلا أن نتوجه إلى الله العفو الغفور المجيب للدعوات بأكف الضراعة ليستجيب دعواتنا.

والحكمة من الابتلاء أن يُعلم الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق ولو كان الأمر كله رخاءً ويسراً لادّعى كلُ مدّع أنه صادق في دعواه.

قال بعضهم: فائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يدي الله تعلى، وإلا فالرب يفعل ما يشاء.

والله يغفر الذنوب جميعاً، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[١]

فالثقة برحمة الله وفرجه في رأفته، وفي عدالته، وفي لطفه، وفي عنايته بالمؤمن ورعايته له. إنه يتولى برحمته من حقق العبودية، وأفعاله سبحانه حميدة دائماً لأنه حميد مجيد.

المؤمنون يلجؤون إلى الله دائما بالدعاء والتضرع فيستجيب الله لهم كلما أخلصوا عملهم لوجهه، حسب أحوالهم وحكمته. قال الله تعالى:﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾[٢].

والله الرحيم هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء والله سبحانه وتعالى رحيم رؤوف بالإنسان، وحتى يستجيب الله دعاءنا لابد من المأكل الحلال، والمشرب الحلال ، والملبس الحلال، والله يتقبل من المتقين. لأنه طيب لا يقبل إلا طيباً).

ومن ذلك ما جاء في " تهذيب ابن كثير " ما نصه:

﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ**

---

(١)سورة الزمر: الآية ٥٣

(٢) سورة الأنفال، الآية ٩.

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[١].

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾**[٢] **﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾**[٣]

وهكذا قال هاهنا **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾**[٤].

أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه.

روى الإمام أحمد (١٥)[٥]: عن رجل من بلهجيم، قال: قلت: يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال: «**أدعو إلى الله وحده، الذي إن مَسّك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن أضْلَلْتَ بأرض قَفْر فدعوتَه رَدّ عليك، والذي إن أصابتك سَنة فدعوته أنبت لك**، قال: قلت: أوصني؟، قال: **لا تسبنّ أحداً ، ولا تَزْهَدَنَّ في المعروف، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك، ولو أن تُفرغِ من دَلوك في إناء المستقي، واترز إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين. وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله - تبارك وتعالى – لا يحب المخيلة**».

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٢)سورة الإسراء: الآية ٦٧.

(٣)سورة النحل: الآية ٥٣.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٥) المسند (٥/٦٤/٢٠٦٩٣). وانظر الحديث التالي.

ففي ما تقدم بيان شاف لمكانة الدعاء في الدين ومنزلته العظيمة فيه. وتوضيح كامل لمدى أثره في حياة المسلم وتأكيد قاطع على أن من أقوم السبل لإجابته صدق اللجأ إلى الله سبحانه وتعالى، وحسن الاستجابة إليه ، والرغبة فيما عنده ، والرهبة من بطشه وشديد عقابه ، نسأل الله بمنه وجوده وكرمه أن يجعلنا ممن يدعونه رغباً ورهباً وممن كانوا له خاشعين.



المبحث الثاني:

دعاء الأنبياء والصالحين واستجابة الله لهم

رسل الله وأنبياؤه هم صفوة الله من خلقه ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[١] وهم أعرف الخلق بالله ، ومن ثم فهم أشد الناس خشية له. وأكثرهم تضرعاً إليه ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[٢] وهم أكثر الناس ابتلاء لأهم أمثل الناس «**يبتلى المرء على قدر دينه**» ومعظم ابتلاءاهم كانت في سبيل إبلاغ رسالات رهم للناس ، وجهادهم في سبيله بالجنان واللسان والسنان ، ولشدة صلتهم برهم كانوا أكثر الناس تضرعاً إليه، وأطهر الناس قلوبا وأزكاهم نفوسًا، ومن ثم رأينا كثرة دعائهم لربهم ورأينا سرعة استجابته لدعائهم في نصوص قرآنية كثيرة نسوق نماذج منها كما وردت بصيغة السؤال والجواب.

وأولهم أبونا أدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة بوسوسة إبليس عليه لعائن الله فلجأ إلى ربه مستغيثا به من عدوه ﴿**وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[٣] ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا**

---

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الأنبياء: ٩٠.

(٣) الأعراف: ٢٢.

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١]. فكانت توبة الله عليه **﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[٢].

وهذا نوح أول رسل الله إلى الأرض يستغيث بربه **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾**[٣]

وهذا أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام يفزع إلى ربه **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾**[٤] .

وهذا موسى كليم الله عليه السلام يسجل القرآن كثرة دعائه ربه واستجابته جل جلاله إليه **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٥] **﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾**[٦] **﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾**[٧] **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ**

---

(١) الأعراف :٢٣

(٢) طه: ١٢١-١٢٢.

(٣) سورة القمر: ١٠-١٢.

(٤) الصافات: ١٠٠-١٠١.

(٥) القصص: ١٦.

(٦) القصص: ٢٤.

(٧) القصص: ٢٥.

لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾(١) ويدعو هو وهارون عليهما السلام على فرعون وملئه فيجيبه الله ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وهذا سليمان عليه السلام يدعو ربه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣) وهذا أيوب وذو النون وزكريا كل منهم يدعو فيستجيب الله دعاءه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى

---

(١) طه: ٢٥-٣٦.

(٢) يونس: ٨٨-٨٩.

(٣) ص: ٣٥-٣٩.

لِلْعَابِدِينَ﴾[١] ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢] .

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وخاتمهم يدعو ربه يوم بدر فيستجيب الله له ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٣] وهؤلاء المؤمنون عموما يدعون الله دعوات مباركات في آخر سورة آل عمران من بدء قوله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٤] إلى قوله جل جلاله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٥] وهؤلاء المخلصون من

---

(١) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(٢) الأنبياء: ٨٧-٩٠.

(٣) الأنفال: ٩.

(٤) آل عمران: ١٩١.

(٥) آل عمران: ١٩٥.

بني إسرائيل عند مقابلتهم لعدوهم جالوت يدعون ربهم فيستجيبُ الله لهم ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1].

وأصحاب الصخرة . كما في الحديث الصحيح عندما سدت عليهم الصخرةُ الكهف وحل بهم من الكرب ما كان فالتجؤوا لربهم وتوسلوا إليه بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم (إنه كان فيمن قبلكم...).

حَدَّثَنَا إسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مسهر، عن عبيد بن عمر، عن نافع، عن ابن عمرَ- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطرٌ، فأووْا إلى غار، فانطبقَ عليهمْ، فقالَ بعضهمْ لبعض: إنهُ والله يا هؤلاء لاَ ينجيكمْ إلاَّ الصدقُ، فليدعُ كلُّ رجلٍ منكمْ بما يعلمُ أنهُ قدْ صدقَ فيهِ فقالَ واحدٌ منهمُ اللهم إنْك كنتَ تعلمُ أنه كانَ لي أجيرٌ عملَ لي علىَ فرقٍ منْ أرزٍّ، فذهبَ وتركهُ، وأني عمدتُ إلى ذلكَ الفرقِ فزرعتهُ، فصارَ منْ أمرهِ أني اشتريتُ منهُ بقراً، وأنه أتاني يطلبُ أجرهُ فقلت اعمدْ إلى تلكَ البقرِ. فسقها ، فقالَ لي إنما لي عندكَ فرقٌ منْ أرزٍّ. فقلتُ لهُ اعمدْ إلى تلكَ البقرِ فإنهاَ من**

(1) البقرة: ٢٥٠-٢٥١.

ذلكَ الفرقِ، فساقهَا ، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلكَ منْ خشيتكَ، ففَرجْ عنَّا . فانساحتْ عنهمُ الصخرةُ. فقالَ الآخرُ اللهمَّ إنّك كنتَ تعلمُ أنهُ كانَ لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، فكنتُ آتيهمَا كلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبطأتُ عليهماَ ليلةً فجئتُ وقدْ رقدَا وأهلي وعيالي يتضاغون منَ الجوعِ ، فكنتُ لا أسقيهمْ حتَّى يَشربَ أبواىَ، فكرهتُ أنْ أوقظهمَا ، وكرهت أن أدعهما، فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتَّى طلع الفجرُ، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلكَ منْ خشيتكَ، ففرجْ عنا. فانساحتْ عنهمُ الصخرةُ ، حتى نظروا إلى السماء. فقالَ الآخرُ اللهمَّ إنك كنتَ تعلمُ أنهُ كان لي ابنةُ عمٍّ منْ أحبِّ الناسِ إلىَّ ، واني راودها عنْ نفسهَا فأبتْ إلاَّ أن آتيهاَ بمائةِ دينارٍ، فطلبتهَا حتى قدرتُ، فأتيتهَا بها فدفعتُهَا إليهاَ، فأمكنتني من نفسهَا، فلماَّ قعدتُ بينَ رجليهَا ، قالتِ اتقِ الله ولا تفضَّ الخاتم إلاَّ بحقهِ. فقمتُ وتركتُ المائةَ دينارٍ، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلكَ منْ خشيتكَ ففرج عنَّا. ففرجَ الله عنهم فخرجوا ».

وإذا فلقد كان صدقُ اللجأ إلى الله سبباً مباشراً في إجابة من دعا الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والصالحين كما هو ظاهر النصوص التي سقنا نماذج منها استغناء بها عن الحصر لدلالتها على المقصود وكفايتها فيه، فهل بعد هذا يرغب عاقل عن هذا العلاج الناجع لكل كرب وكل هم وغم بل وكل داء دواء . وقد كان هذا ديدن الأنبياء والمرسلين والصالحين. أقرأ ما كتبه سيد قطب رحمه الله في قصة أيوب عليه السلام ودعائه ربه واستجابته له لما له

من دلالة على ما نقول ونصه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[1]

(وقصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء. والنصوص القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل. وهي في هذا الموضع تعرض دعاء أيوب واستجابة الله للدعاء. لأن السياق رحمة الله بأنبيائه، ورعايته لهم في الابتلاء. سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم، كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح. أو بالنعمة في قصة داود وسليمان. أو بالضر كما كان في حال أيوب..

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله.. "أني مسني الضر" ووصف ربهَ بصفته" وأنت أرحم الراحمين". ثم لا يدعو بتغير حالة صبرًا على بلائه ولا يقترح شيئا على ربه تأدباً معه وتوقيراً فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار بل ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه فيدع الأمر كله إليه اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء:

---

(1) الأنبياء: ٨٣-٨٤

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾[1].

رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح.

ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم. وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثلهم.

أو أنه وهب له أبناء وأحفاداً.

"رحمة من عندنا" فكل نعمة هي رحمة من عند الله ومنة. "وذكرى للعابدين" تذكرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء، وإن في بلاء أيوب لمثلاً للبشرية كلها، وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها. وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار.

وإشارة "للعابدين" بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها. فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان. والأمر جد لا لعب. والعقيدة أمانة لا تسلم إلا للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها وليست كلمة تقولها الشفاه، ولا دعوى يدعيها من يشاء. ولابد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء..)

وبهذا النموذج من أقوال العلماء يتضح ما نقول بعد أن أكدناه بنصوص القرآن والسنة وأقوال العلماء و لم يبق إلا إيراد النصوص

(1) الأنبياء: ٨٤.

القرآنية التي اعتمدنا عليها في تناوله مرتبة حسب ترتيب المصحف الشريف لتكون خاتمة هذا المبحث.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. [آل عمران: ٣٧].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧].

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٨].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٤].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤].

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤].

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨].

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤].

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠].

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم:٢٣].

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:٢٤].

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه:٢٥].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:٣٦]

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء:٧٦].

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٧].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤].

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩]

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء:١٦٩].

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢٥].

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:٧٥].

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات:٧٦].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١].

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦].

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧].

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص"٣٨].

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:١٠].

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر:١١].

المبحث الثالث:

دعاء المضطرين عموما وسرعة استجابة الله لهم.

فطر الله البشر على الإيمان سبحانه وتعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(١)

لكن هذه الفطرة النقية الصافية تتعرض لآفات كثيرة كطمس معالم النور والحق فيها، فيصيبها العمى (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) كما هو صريح النص وحديث الرسول ﷺ .

حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**»(٢). ومنها حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ عن ربه : «**إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فجاءهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمَّت عليهم ما أحللت لهم**»(٣)ولكن هذه الحجب التي تحول بين النفوس البشرية وبين إدراك الحق لا تلبث أن تنقشع عند ما يتعرض الإنسان للشدائد ولا يجد له نصيراً إلا الله الذي خلقه

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) صحيح البخاري،الجنائز، ماقيل في أولاد المشركين.

(٣) صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار..

الرؤوف اللطيف البر الرحيم ، عندئذ يلجأ إليه في تضرع وإنابة صادقاً فلا يخيبه الله مهما كان حاله ، فيستجيب له يكشف ما به من ضر ويفرج كربته **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(١) **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾**(٢) **﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾**(٣) والله الذي خلق هذه الأنفس ويعلم ضعفها وشدة حاجتها إليه **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**(٤) وعدم استغنائها عنه ، يقيل عثرتها كلما عادت إليه في تضرع وإنابة لأنه اللطيف البر الرحيم **﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾** [الشورى:١٩]. **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾** [الشورى:٢٥]. لهذا كثرت نصوص القرآن المؤكدة لهذا المعنى **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾** [الزمر:٨] **﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** [الزمر:٤٩] **﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ**

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) الإسراء: ٦٧ .

(٣) الروم: ٣٣ .

(٤) فاطر: ١٥.

طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [يونس:٢٢]. **﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾** [العنكبوت:٦٥] **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾** [العنكبوت:٦٥]. **﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾** [لقمان:٣٢]. وهكذا يسوق القرآن الأدلة والبراهين على هذه الحقيقة النفسية والإيمانية حتى لا يبقى غبش ولا غموض ولا شبهَ عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فالله من جوده وكرمه ولطفه ورحمته وإحسانه الى خلقه يبين لهم أنه سبحانه وتعالى هو المرجو وحده وهو القادر وحده على تفريج الكربات والشدائد ، وأن السبيل الوحيد لذلك هو صدق اللجأ إليه وحده والتضرع إليه في إنابة ، ومتى ما حصل ذلك من العبد كائناً من كان فإن الله يستجيب دعاءه ، ويكشف ما به ويفرج كربته فيجعل له من كل ضيق مخرجاً ومن كل كربة فرجاً. هذا لعامة الناس مؤمنهم وكافرهم وما ذاك إلا لسعة رحمة الله وسعة مغفرته فهو وحده الغفور الرحيم **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر:٥٣]. **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنفال:٣٨].

وظهور هذه الحقيقة وهي سرعة استجابة الله لمن لجأ إليه في صدق ، وتاب إليه مما تشتد حاجة الناس إليه ، فيقبلوا على ربهم ،

ويحسنوا الركض إليه في تضرع وخشوع ، فتطيب حياتهم ، وتهدأ نفوسهم وتطمئن قلوبهم ، ويسود بينهم الود والتراحم ، وما ذلك إلا لأنهم تابوا إلى ربهم وأحسنوا الإنابة وأخلصوا في تضرعهم له ، فالله يقبل توبة التائبين ، بل إنه سبحانه وتعالى شديد الفرح بتوبة عبده كما أخبر الصادق المصدوق «**لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل كان في سفر في فلاة من الأرض، فأوى إلى ظل شجرة فنام تحتها ، فاستيقظ فلم يجد راحلته ، فأتى شرفا فصعد عليه فأشرف فلم ير شيئاً ، ثم أتى آخر فأشرف فلم ير شيئاً ، فقال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأكون فيه حتى أموت ، قال : فذهب فإذا براحلته تجر خطامها قال : فالله عز وجل أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته**»(١) . فلم يبق إلا أن نكون صادقين مع أنفسنا ونصدق في اللجوء إلى ربنا ونعد أنفسنا بذلك لاستقبال نفحات الخير والبركات من ربنا. والنصوص القرآنية التي اعتمدنا عليها فيما سبق هي:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٦٣].

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢].

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير.

الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٢٣].

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٣٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر:٨].

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٤٩].

من كل ما سبق يظهر أن الدعاء هو اعتراف بفقر الإنسان واحتياجه إلى الله السميع البصير القريب من عباده، ولكي يصدق

الإنسان في دعائه يجب أن يصدق في عبوديته، فالدعاء بغير عبودية دعاء بلا روح ولا إيمان، وللدعاء أوقات معلومة مشهورة ، فترصد لدعائك الأوقات الشريفة، كيوم عرفه من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.



الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ بتناول موضوع هذا الكتيب بالصـــورة التي عرض بها ، وفي هذا الوقت بالذات الذي ضاقت فيه الأنفس ، وضاقت فيه الأرض بما رحبت علـــى النـــاس لكثـــرة المصـــائب والكربات والشدائد والأزمات ، ولم يعد أمام الناس مـــن مخـــرج سوى أن يتيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فبه نلوذ وبه نعتصـــم ولا حول ولا قوة إلا بالله: ومن ثم كتبت ما كتبت حثاً للناس على الإقبال على الله واللجوء إليه في صدق وإنابة تامين، وفي يقين بـــأن الله مستجيب لهم ، وكاشف ضرهم متى ما تضـــرعوا إليـــه ، ولا يكونوا كالذين أخبر الله عنهم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْـــتَكَانُوا لِـــرَبِّهِمْ وَمَـــا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَـــا بِالْبَأْسَـــاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف:٩٤].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَـــذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَـــاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢].

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣].

فالمنصرفون عن الله سبحانه وتعالى في كل وقت وفي كل زمان ، ينالهم ما نال سلفهم الذين مضى ذكرهم في النصوص الســـابقة،

إذاً فالكتيب تذكير وتنبيه، ودعوة إلى كثرة الدعاء والتضرع إلى الله في الرخاء، فكيف بالشدة، (**اعرف الله في الرخـــاء يعرفـــك في الشدة**) نسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفـــع بـــه كاتبه وقارئه وناشره ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتـــى الله بقلبٍ سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة المطهرة.

ثانياً: المراجع :

١- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير.

٢- في ظلال القرآن/ لسيد قطب.

٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

٤- مائة دعوة مجابة من الدعاء المستجاب.

٥- رد البلاء بالدعاء.

٦- موقع اذكر الله على الإنترنت.

الفهــــــرس

